اسم الدرس : عرفة يوم الإنسانية

تصنيف الدرس : منوعات | موسم الحج

❖المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح لهذه الأمة فما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاة وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران ١٠٢].

أما بعد أحبتي في الله، نكرر دائمًا وأبدًا أن الله سبحانه وتعالى لم يترك الخلق سُدى، ولم يخلقهم عبثًا، ولكن خلقهم لغاية، قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[الذاريات ٥٦]، ولتحقيق هذه الغاية، أنزل الله سبحانه وتعالى الكُتب، وأرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ليكون الناس على بينةٍ من أمرهم، فمن تمسك بما أنزله الله سبحانه وتعالى في الكتاب واتبع خطوات الرسل نجا وأفلح، فمن تمسك بكتاب الله وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد نجا وأفلح، ومن أعرض عنهما فقد خاب وخسر.

أحبتي في الله، في خضم الحياة ينسى الإنسان حقائق أبدية، في خضم الحياة ينسى الإنسان حقائق لابد أن يتذكرها كل فترة، أحيانًا يحتاج الإنسان إلى إعادة تعريف لبعض الحقائق التي يظن أنه يعرفها ولكنه – هذا الإنسان– مع طول الأمد ينسى هذه الحقائق، فيحتاج إلى إعادة تعريف. حتى في بعض الأجهزة مثلًا عندما يحدث خلل يمكن أن يحتاج إعادة تعريف، بحيث أنه يُعرف مرة أخرى فيصبح نشيطًا، هكذا الإنسان يحتاج إلى إعادة تعريف لبعض الحقائق، فالإنسان يحتاج إلى تذكير، ومن وظيفة الرسل أنهم يذكرون الناس.

❖تعريف الإنسان:

تعالوا لنعيد التعريف أو نتكلم عن الإنسان، ما هو الإنسان؟ من أنا؟ ومن أنت؟ أي نحن الذين نعيش في هذه الحياة، ما سر هذه الحياة؟ هؤلاء البشر الذين يذهبون ويأتون يأكلون وينامون، هذه الحياة المستمرة لابد أن يتوقف الإنسان للحظة ويسأل: من هو الإنسان؟ هذا الذي أعطاه الله قدرات عجيبة،

هذا الذي يفكر ويقرر ويختار ويحب ويبغض، هذا الإنسان الخليط من العقل والمشاعر والهوى والنفس والروح، هذا الإنسان العجيب، من هو الإنسان؟ وما هو الإنسان؟

تعريفه لغة:

قبل أن أبدأ الكلام عن الإنسان، تعالوا نتكلم لغة، ما معنى "إنسان" في اللغة؟ بمعنى عندما تحدث علماء اللغة عن الإنسان، ماذا قالوا عن معنى كلمة "إنسان" في اللغة؟

- فقال الكثير من أهل العلم هي أصلها من "أنس" وأصل الإنسان من "الإيناس" الذي هو: ضد التوحش ﴿ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾[1] أو ﴿ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾[النساء ٦] أن الإنسان بطبيعته يحب أن يأنس، يحب أن يألف ويؤلف، فالإنسان كما يقولون، كما قال الأصفهاني: "مدنيٌ بطبعه"، الإنسان سُمي إنسانًا لأنه لا تقوم حياته إلا بالناس، فهذا يعتمد على هذا في كذا، وهذا يعتمد عليه في كذا، وهذا يؤدي إلى هذا خدمة في كذا.

  فالإنسان بطبيعته قِوام حياته بالتجمع، يحتاج إلى حالة من أنه يتجمع مع الناس، يحب أن يألف ويؤلف، يحب أن يُحَبّ وأن يُحِبّ، هكذا طبيعة الإنسان، التوحش هو أن الإنسان يكون وحده منفردًا لا يقترب من أحد ولا يأنس بأحد، فالأصل في طبيعة الإنسان أنه يحتاج إلى حياة مجتمعية، يحتاج أن يعيش وسط مجتمع، قيل: لغةً سُمي إنسانًا لذلك، هذا قول.
- القول الآخر –وإن لم يكن الأشهر– لكن مروي أيضًا –أي بسند فيه كلام عن ابن عباس–: أن "الإنسان" من "الإنسيان" أي من النسيان، سُمي إنسانًا لكثرة نسيانه، لأنه ينسى، قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾[طه ١١٥]، فالإنسان بطبيعته ينسى، يحتاج إلى تذكرة، فالإنسان يحتاج إلى تجمعٍ يذكره، الإنسان بطبيعته يحتاج إلى تجمعٍ يذكره بحقائقها، هذا في اللغة في مسألة النظر إلى معنى إنسان.

تعريف وظيفته:

حسنًا، فما هو الإنسان؟ هذا الإنسان وحينما نفخت فيه الروح بعدما كان طينًا، هذا الإنسان عظيم الشأن عند الله سبحانه وتعالى، هل تعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم عن وظيفتك قبل إيجادك ﴿وَإِذۡ

[1] ذكرت هذه الآية في [طه 10]، [النمل 7] و[القصص 29].

﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[2]، حينما قال الله سبحانه وتعالى للملائكة هذا الكلام في هذه اللحظة قد خُلقت السماوات وقد خُلقت الأرض وخُلقت الملائكة، في هذه اللحظة الكون مسخر، الكون مهيأ، في هذه اللحظة، لم يوجد آدم بعد، فكان الحديث عن الوظيفة قبل الوجود. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾[الرحمن 1-٣] تقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان في إظهار رحماته سبحانه وتعالى في سورة الرحمن، ليعلم الغاية قبل أن يأتي، ليعلم المنهج قبل أن ينزل، فقبل أن ينزل إلى الأرض، قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] هذه وظيفة الإنسان.

تعريف الإنسان من ناحية الوظيفة، لن نعرِّف الإنسان مثل المناطقة بالحد والرصد، لا بل نتكلم عن تعريف الإنسان من وظيفته، قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] وظيفة الإنسان أنه خليفة، إما ليخلف بعضهم بعضًا ويقومون بشرع الله، أو هناك أراد الله سبحانه وتعالى من يقوم بشرعه في الأرض، الملائكة تقوم بأمره سبحانه وتعالى في السماء ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم ٦] **أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق مخلوقًا من الأرض يعيش على الأرض يُطبق منهج الله على الأرض.**

إذًا نحن وظيفتنا الأساسية أن نطبق منهج الله على الأرض، وظيفتنا بمعنى أن الشخص يعرِّف نفسه لماذا أنا هنا، فمثلًا تخيل حينما تغيب الغاية، شخص يذهب إلى مصيف وأخذ معه كتب المذاكرة وقضى أسبوع المصيف كله يذاكر، فالناس تقول له: يا أخي ليس هذا وقت المذاكرة أنت أتيت هنا لغرض معين، أو العكس شخص ما سافر للعمل وقضى كل الوقت في لعب ولهو ولم يذهب إلى العمل، فيُطرد من العمل، فيقال له: يا أخي أنت في الغربة وتترك زوجتك وأولادك لهدف، لا تنسى الغاية من وجودك.

((فنسيان الغاية يؤدي إلى حالة من العبث، يؤدي إلى حالة من اللهو، من الضياع))

فقال: ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[هود ٧] انظر إلى سياق الآية عجيب جدًا، وأنا أقرأ الآية شعرت أنه قد حدثت مفاجأة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مخلوقات عظيمة ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ﴾ مخلوقات أعظم ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ ما هذا؟ كل هذا! كل هذه العظمة وهذه المخلوقات! جاءت بلام التعليل: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أنت أيها الإنسان الضعيف المخلوق من علقة!! ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ يا الله! **السماوات والأرض**

[2] ذكرت هذه الآية في [البقرة ٣٠] و[الحجر 28].

وكان عرشه على الماء كل هذه المخلوقات وهذا التسخير وهذا الإحكام والدقة والإتقان والترتيب والإبداع ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾! لينظر سبحانه وتعالى كيف سنفعل على الأرض هل سنطيعه أم سنعصيه؟!

هذه الغاية الأساسية الأولى من وجودنا هنا! إذًا لو الشخص انشغل خارج هذه الغاية، فهو يعبث ويلعب خارج هذه الغاية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات ٥٦] بتوسيع مفهوم العبادة، الإنسان لا ينسى غايته.

إذًا تعريف الإنسان، تكلم الله سبحانه وتعالى عن وظيفته قبل خلقه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة ٣٠] قبل أن ينفخ فيه الروح وقبل أن يقول للملائكة اسجدوا لآدم، وقبل أن يُعلم آدم الأسماء. أول ذكر يقابلك لآدم وأنت تستفتح المصحف في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أول ذكر يقابلك لآدم، قال ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الملائكة تعجبوا، يا رب إذا كانت الحكمة من خلق هذا المخلوق الطيني العبادة والتسبيح والتقديس ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ﴾ ونحن نقوم بهذه الوظيفة على أكمل وجه ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

❖ تحمُّل الأمانة:

عبادة الملائكة تختلف عن عبادة البشر ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب ٧٢] لاحظ دائمًا أن آيات التكليف ترتبط بالمخلوقات العظيمة يعني ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود ٧]، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[الأحزاب ٧٢] ليس إباء عصيان، بل أبَين إشفاقًا، لأن السماوات والأرض قالتا في سورة فصلت: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ١١] رضوا بالتسخير.

الإنسان عرض عليه التخيير كما قال ابن كثير أن أقوالًا كثيرة وردت عن السلف عن ما هي الأمانة؟ ومجمل هذه الأقوال أنها أوامر التكليف الشرعية، تكليف الأوامر والنواهي، الإنسان قبِل أن يتحمل ذلك ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان ٣]. إن الملائكة يطيعون الله عز وجل ولا يعصونه طرفة عين، يفعلون ما يؤمرون هؤلاء هم الملائكة، أما بالنسبة للإنسان لا، الإنسان حُمِّل الأمانة، له

القدرة على الاختيار ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس 7-٨] إذًا الإنسان بداخله القدرة على اختيار الخير أو الشر، علمه الله سبحانه وتعالى ذلك، أعطاه الله ذلك، مكنه الله من ذلك -بعيدًا عن الخوض في قضية القدر التي كل من خاض فيها لم يصل إلى شيء- فالله سبحانه وتعالى حمل الإنسان هذه الأمانة ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب ٧٢].

لذلك قالوا لن تقوم الأمانة إلا بعكس الظلم والجهل، تقوم الأمانة بعينين: بعين العدل، وبعين العلم، ينظر الإنسان بعينين على هذه الأرض بالعدل وبالعلم عكس الظلم والجهل، إذًا وظيفة الإنسان أن يتحمل الأمانة، أي عندما يكون شخص ما يعمل في منظمة معينة أو مصلحة أو مؤسسة، يجب أن يكون على معرفة بالتوصيف الوظيفي الخاص به، لأنه عندما يحاسب عليه، يقال له: أنت محمل بالأمانات، أنت مطلوب منك هذه الأوراق أو هذه المحاضرات أو هذه الأشياء مطلوب منك أن تنفذها، فالإنسان كل شخص منا حمل الأمانة، لا يوجد شيء اسمه: ولكن هذا شيخ، ولكن هذا عالم، ولكن هذا داعية، ولكن هذا خاص بالمسجد، لا لا، كل الناس حملوا هذه الأمانة.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ كل الإنسان، إذًا لابد أن تتعرف على نفسك ما هي وظيفتي؟ **أنت خليفة، تقوم بمراد الله سبحانه وتعالى في الأرض**، لذلك عندما قالت الملائكة: يا رب لو أن الحكمة هي التسبيح ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة 30] ولو الحكمة هي العبادة نحن نقوم بذلك على أكمل وجه. لكن أراد الله سبحانه وتعالى عبادةً من نوعٍ آخر، هذا المخلوق العجيب الذي تتجلى فيه آثار أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، هذا المخلوق الإنسان، هذا الضعيف الذي جاء من علقة، الذي جاء من نطفة، الذي جاء من ترابٍ، من طينٍ، من صلصالٍ كالفخار، هذا الإنسان أنا وأنت حُمِّلنا هذه الأمانة.

أراد الله سبحانه وتعالى عبادةً من نوعٍ آخر، تتجلى في هذا المخلوق كمال الأسماء والصفات، أين اسم الله الغفور والعفو؟ هذا مع الإنسان؛ لأنه تحمل الأمانة فيخطئ فيتوب فيعفو الله عنه، اقرأ آية الأمانة مرة أخرى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب ٧٢] لماذا حمل الأمانة؟ ما المآل والعاقبة؟ آخر آية في الأحزاب ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾[الأحزاب ٧٣] وبدأ بالمنافقين قبل

المشركين لأن عذابهم أشد في الدرك الأسفل من النار والعياذ بالله. إذًا مآل الأمانة، مآل حمل الأمانة أن هناك أناسًا ستعصي ولن تتوب، وأناس ستعصي وستتوب، لذلك جاء الختام بشيئين، ليعذب، ويتوب ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إذًا الأصل أننا نخطئ، لكن من سيتوب؟ من سيتذكر؟

تحقيق كمال الإنسانية بشيئين -مثلما قال أهل اللغة-: أن تجتمع مع الصالحين وتتذكر مراد الله فيك، تحقيق كمال الإنسانية أي كيف تكون إنسانًا؟ تحقيق الإنسانية كما ربنا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[الرحمن 1-4].

((الإنسان جاء بعد ذكر القرآن، فينقص من إنسانيته على قدر ابتعاده عن القرآن، بقدر ابتعاده عن منهج الله سبحانه تعالى))

فهو ينزل -أعزكم الله- مثلما قال الله: إلى مرتبة الأنعام، لا يصبح إنسانًا، لا يستحق هذا الوصف، يسحب منه هذا الوصف، يُسلخ من هذا الوصف، لم يعد يستحق هذا التكريم، أنه إنسان لم يعد يستحق ذلك ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان ٤٤]. بعض الناس قررت أنها تنزل إلى أسفل سافلين، إلى مستوى الانحطاط بعيدًا عن هذا التكليف.

❖ بيان ثقل الأمانة:

فقال ربنا في ختام السورة أن كل الناس ستعصي، كل بني آدم خطاء، لكن من سيتوب؛ هؤلاء يتوب الله عليهم، ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾[الأحزاب ٧٣] وهذا يدلك على ثقل الأمانة، أنت لا بد ستخطئ، لكن من سيتوب؟ من سيتذكر؟ من سيؤوب؟ من سيعود؟ ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والختام ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، الذي حملك الأمانة هو الغفور الرحيم، **فالإنسان تتجلى فيه كمال الأسماء والصفات، آثار الأسماء والصفات**، لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ماذا؟ (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون)[3] ليس يذنبون فقط لكن يذنبون فيستغفرون (فيغفر الله لهم).

[3] [عن أبي هريرة]: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لهمْ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٤٩ •[صحيح] •

– من كمال أسماء الله "العفو" تحقيق هذا الاسم أن الإنسان يخطئ ويتضرع ويقول رب اغفر لي، اسم الله "العفو" اسم الله "الرحيم" هذه الأسماء والصفات تتجلى وتتحقق في الكون، وأعلى مخلوق تظهر فيه آثار الأسماء والصفات كلها هو هذا الإنسان، هذا النطفة، العلقة!

– انظر إلى الاحتفاء الكوني بالإنسان، انظر إلى التسخير الكوني للإنسان، الكل مسخرٌ له، انظر كيف أن الإنسان إذا ذكَّر الناس بغايته، مجرد أن يقوم شخص ويعلم الناس ويذكرهم بمراد الله منهم، ما الذي سيحدث؟ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)[4]، (وإن الحيتان في البحر والنملة في الجحر ليصلون ويدعون ويستغفرون لمعلم الناس الخير)[5].

– انظر إلى التجاوب الكوني: (الإنسان حين يذهب الحج ويلبي ويقول "لبيك اللهم لبيك"، يلبي ما حوله مع تلبيته، كل ما حوله من حجر ومدر)[6]، كل ما حول الإنسان يلبي معه، احتفاء كوني لهذا المخلوق.

❖عاقبة نسيان الغاية:

لكن هذا الإنسان إذا نسي إنسانيته، إذا نسي وظيفته، إذا نسي غايته، إذا نسي حقيقته:

– نزل إلى مرتبة أخس من الأنعام ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[الحج ٣١].

---

[4] [عن صفوان بن عسال]: إنَّ الملائكةَ لَتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يطلُبُ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٩٥٦ • صحيح •

[5] [عن أبي أمامة الباهلي]: إنَّ اللهَ وملائكتَه، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ في البحرِ، لَيُصلُّون على مُعَلِّمِ الناسِ الخيرَ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٨٣٨ • صحيح •

[6] [عن سهل بن سعد الساعدي]: ما من مسلمٍ يلبِّي إلّا لبّى من عن يمينِه أو عن شمالِه من حجرٍ أو شجرٍ أو مدرٍ حتّى تَنقطعَ الأرضُ من هاهنا وَهاهنا.

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٨٢٨ •صحيح •

- يصبح حيرانًا كما شبه ربنا سبحانه وتعالى ذلك الذي ابتعد بعد أن رأى الهدى في سورة الأنعام ﴿حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا﴾[الأنعام ٧١].

- يصبح ظمآنًا ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[النور ٣٩] لن يشبع أبدًا.

- يصبح -والعياذ بالله- ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾[الأعراف ١٧٦].

- حينما يتخلى عن هذا المنهج ولا يطبقه، كما قال ربنا: سبحانه وتعالى ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾[الجمعة ٥] انظر كيف ينزل الإنسان من هذه المرتبة العالية إلى هذه المرتبة الدونية. إن الإنسان يحتاج أن يجتمع ويحتاج أن يتذكر، يحتاج إلى جمع يذكره، فمن رحمة الله عز وجل أن جعل لنا مواسم لذلك.

❖مواسم التذكير:

أحبتي في الله لابد، كما قلت في أول الخطبة، يجب أن يعيد الإنسان تعريف الأشياء من حوله ويعيد تعريف نفسه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم وهو ينظر إلى الشمس (أتدرون أين تبيت هذه؟)[7]، إعادة النظر للأشياء من حولنا، إنها مخلوقة (أتدرون أين تبيت هذه؟) إنها ليست مجرد جرم كوني يخرج نورًا بصورة فيزيائية معينة، الأمر ليس فقط كذلك، إنها من مخلوقات الله (أتدرون أين تبيت هذه؟ إنها تبيت ساجدة تحت العرش)، يوشع بن نون نظر للشمس وقال لها ("أنت مأمورة وأنا مأمور")[8] هكذا الإنسان يعيد النظر في الأشياء من حوله، يعيد النظر في نفسه: من أنا؟ ولماذا جئت إلى

---

[7] [عن أبي ذر الغفاري]: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ يَوْمًا: أتَدْرُونَ أيْنَ تَذْهَبُ هذِه الشَّمْسُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ قالَ: إنَّ هذِه تَجْرِي حتَّى تَنْتَهِي إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، فلا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي حتَّى تَنْتَهِي إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، ولا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي لا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْها شيئًا حتَّى تَنْتَهِي إلى مُسْتَقَرِّها ذاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فيُقالُ لَها: ارْتَفِعِي أصْبِحِي طالِعَةً مِن مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَغْرِبِها، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أتَدْرُونَ مَتَى ذاكُمْ؟ ذاكَ حِينَ **{لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْرًا}** [الأنعام: ١٥٨].

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٥٩ • [صحيح] •

[8] [عن أبي هريرة]: غَزا نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ، فقالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأةٍ، وهو يُرِيدُ أنْ يَبْنِيَ بها، ولَمّا يَبْنِ، ولا آخَرُ قدْ بَنى بُنْيانًا، ولَمّا يَرْفَعْ سُقُفَها، ولا آخَرُ قدِ اشْتَرى غَنَمًا، أوْ خَلِفاتٍ، وهو مُنْتَظِرٌ ولادَها، قالَ: فَغَزا فأدْنى لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلاةِ العَصْرِ، أوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، فقالَ لِلشَّمْسِ :أنْتِ مَأْمُورَةٌ، وأنا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ، احْبِسْها عَلَيَّ شيئًا، فَحُبِسَتْ عليه حتَّى فَتَحَ اللَّهُ عليه، قالَ: فَجَمَعُوا ما غَنِمُوا، فأقْبَلَتِ النّارُ لِتَأْكُلَهُ، فأبَتْ أنْ تَطْعَمَهُ، فقالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ، فَلْيُبايِعْنِي مِن كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَبايَعُوهُ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بيَدِهِ، فقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْتُبايِعْنِي

هنا؟ هل لأحقق الغاية؟ أم أنني نسيت؟ يمكن للإنسان أن ينسى ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر ١] قد يظل الإنسان ملهيًا إلى أن يموت ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾[التكاثر 1-٢] قد يلهو الإنسان ويغفل حتى يموت، من رحمة الله أنه جعل مواسم تذكير، اجتماع الناس في رمضان، واجتماع الناس في الصلاة، تجد أن مواسم التذكير -غالبًا- فيها الجمع والتذكير.

❖ يوم عرفة:

ومن أعظم هذه المواسم هذا اليوم العظيم الذي تجتمع فيه الخلائق والبشر من كل حدب وصوب يقفون عند هذا الجبل -جبل عرفة- هذا المكان مكان الميثاق، هذا الجبل والتذكر للحظات الأولى لأخذ الميثاق، هذا الجمع، هذا اليوم الذي فيه كمال الإنسانية التجمع والتذكر، أن يجتمع الإنسان مع إخوانه المسلمين والمؤمنين أيًا كانت الأسماء والألوان والبلاد والألقاب والوظائف، يجتمعون في صعيد واحد، الكل يقف يتذكر الميثاق، ويتذكر ثقل الميثاق وعظم الميثاق، فيطلبون من الله العفو، ويجأرون إلى الله، يطلبون منه المغفرة.

وهذا اليوم أكثر يوم يعتق الله فيه من عباده، الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم يدنو من عباده ويقول لملائكته (ما أراد هؤلاء؟)[9] يذكرهم بتلك اللحظة التي قالت فيها الملائكة ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة ٣٠] يذكرهم انظروا إلى هؤلاء جاءوا من كل مكان يطلبون رضاي، تركوا أوطانهم وبلادهم وأموالهم وأولادهم وجاءوا يطلبون مرضاتي، يخافون من عذابي، هؤلاء لأجلهم خُلق الخلق ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

هؤلاء هم الصفوة، هؤلاء يدخلون الجنة، هؤلاء الذين لم تكونوا تعرفوا هذه الحكمة، وكانوا يستفهمون ويتبينون الحكمة، فقالوا ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾. فيباهي الله الملائكة بهؤلاء الذين جاءوا، ويقول

قَبِيلَتُكَ، فَبايَعَتْهُ، قالَ: فَلَصِقَتْ بيَدِ رَجُلَيْنِ، أوْ ثَلاثَةٍ، فقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، أنْتُمْ غَلَلْتُمْ، قالَ: فأخْرَجُوا له مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِن ذَهَبٍ، قالَ: فَوَضَعُوهُ في المالِ وهو بالصَّعِيدِ، فأقْبَلَتِ النّارُ فأكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلَّ الغَنائِمُ لأحَدٍ مِن قَبْلِنا، ذلكَ بأنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالى رَأى ضَعْفَنا وعَجْزَنا، فَطَيَّبَها لَنا.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٧٤٧ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

[9] [عن عائشة أم المؤمنين]: ما مِن يَومٍ أكْثَرَ مِن أنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهِي بهِمِ المَلائِكَةَ، فيَقولُ :ما أرادَ هَؤُلاءِ؟

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٣٤٨ • [صحيح] • أخرجه مسلم (١٣٤٨)•

للملائكة كما في صحيح مسلم (ما أراد هؤلاء؟)، العجيب أن الحديث ينتهي هنا فقط، يسأل الله سبحانه وتعالى الملائكة مذكرًا لا ينتظر منهم إجابة لأنه أعلم سبحانه وتعالى (ما أراد هؤلاء؟) يذكرهم بهذه اللحظة.

يأتي الناس في هذا المكان يتذكرون الميثاق الأول، يتذكرون الفطرة، العهد، الميثاق، الغاية التي خُلقوا لأجلها، يجتمعون مع بعضهم، يحتاجون إلى بعض ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[المائدة ٩٧] يعلمون أنه لابد من قومة باجتماعهم، لابد من اجتماع المسلمين، يذكرون بعضهم البعض، هكذا تقوم الشرائع، هكذا يقوم الدين باجتماع الناس وبتذكيرهم.

فإذا أردنا أن يقوم الدين مرة أخرى في حياتنا، فلا بد أن يجتمع الناس على الخير، كما في الصلاة خمس مرات في اليوم، إذا أردت أن تحقق كمال إنسانيتك، قال له العالم –في حديث قاتل المائة– (اترك أرضك وانطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون)[10] تحتاج إلى جمع يذكرك (أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم) تلك النصيحة التي انتشلته من هذا الوحل، كان قاتلًا، قتل مائة نفس، نصحه نصيحة يحقق بها إنسانيته. اذهب إلى المسجد، اذهب إلى الصحبة الصالحة، اجتمع مع هؤلاء لتتذكر العهد والميثاق، كلما نسيت ذكروك.

هكذا الإنسان، يحتاج أن يألف ويؤلف، يحتاج إلى جمع يطيع الله معه، يتذكر الغاية من وجوده، هذا يتحقق في أعلى درجاته في يوم عرفة، لذلك هذا اليوم هو أشد الأيام على الشيطان، أشد الأيام على إبليس، أي أفضل الأيام عند المؤمن، يوجد خلاف طويل بين أهل العلم هل هو أفضل، أم يوم النحر.

الشاهد أن هذا اليوم العظيم الذي فيه العتق وفيه المغفرة وفيه تجديد الميثاق، هؤلاء الذين خرجوا من كل بقاع الأرض ذهبوا ليقفوا في هذا المكان ليجددوا العهد والميثاق، ليتطهروا من ذنوبهم، تركوا كل شيء

[10] [عن أبي سعيد الخدري]: كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَألَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ على راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ سَألَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ على رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ، فانْطَلَقَ حتّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِبًا مُقْبِلًا بقَلْبِهِ إلى اللهِ، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بيْنَهُمْ، فقالَ: قِيسُوا ما بيْنَ الأرْضَيْنِ، فَإلى أيَّتِهِما كانَ أدْنى فَهو له، فَقاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنى إلى الأرْضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قالَ قَتادَةُ: فقالَ الحَسَنُ ذُكِرَ لَنا، أنَّه لَمّا أتاهُ المَوْتُ نَأى بصَدْرِهِ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٦٦ • [صحيح] •

حتى الزينة واللبس، ارتدوا الإحرام، تجردوا من الدنيا ووقفوا شعثًا غبرًا يرجعون كيوم ولدتهم أمهاتهم إن شاء الله، يرجعون مجددين العهد والميثاق، فيرجعون إلى الناس يذكرونهم بآيات الله، يذكرونهم بمواقف إبراهيم عليه السلام، وبمقام إبراهيم، كيف رجم الشيطان؟ وكيف سعت هاجر؟ وكيف تحرك إبراهيم؟ وكيف وضع السكين على رقبة ابنه إسماعيل حينما يقدمون الهدي؟ يذكرون الناس بهذا، فيتذكر الناس وعموم البشر.

مشهد عظيم!! أريدك أن تنظر على الأرض كأنك تشاهد الأرض من الأعلى في هذا اليوم، الناس تركوا أماكن في الأرض في كل الدول والبلاد وجاءوا في مكان واحد، وبقية الناس وكأنهم لضعفهم وعجزهم نريد أن نشاركهم، فلنشاركهم بعبادة أخرى بعبادة الصوم فيصومون يوم عرفة، فتعم المغفرة على الجميع، ويغفر الله للجميع، ويجتهد الجميع في الدعاء، ولا ينشغل الحاج لا بزينة، ولا ينشغل المقيم ولا بشربة ماء، فهذا تجرد من ثيابه وأحرم، وهذا صام وابتعد عن طعامه وشهواته، والكل يدعو والكل يجأر إلى الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم العظيم.

يوم مهيب يوم عظيم يوم عرفة يوم الميثاق يوم التذكر يوم الإنسانية الذي يجتمع فيه الناس على طاعة الله سبحانه وتعالى، هذا اليوم اقترب منا أحبتي في الله، هذا اليوم تحتاج أن تعد فيه العدة، أن تجدد العهد والميثاق مع الله سبحانه وتعالى، أن تجأر وتطلب منه المغفرة، أن تتذكر إنسانيتك، أن تتذكر الغاية من وجودك، أن تتذكر الميثاق الأول الذي أخذ علينا، أن تتذكر هذه الكلمة العظيمة، هذا الوسم، هذا الشرف، هذه الغاية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] هذه الغاية العظيمة التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾[الأحزاب ٧٢]، ولكن كثير من الناس ظلوم جهول -والعياذ بالله-.

أسأل الله عز وجل أن يبلغنا هذا اليوم، وأن يعيننا على صيامه على الوجه الذي يرضى به عنا، اللهم وتابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم ولا تحرمنا زيارة بيتك العتيق، اللهم وفقنا لفعل ما تحب وترضى، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ووفقنا لما تحب وترضى، اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.